# ١٣- كتَاب حَمد الله تَعَالَى وَشكره

## ٢٤٢- باب وجوب الشكر

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[البقرة: ١٥٢] وقال تَعَالَى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم: ٧] وقال تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الحَمْدُ للهِ﴾[الإسراء: ١١١] وقال تَعَالَى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[يونس: ١٠].

### الحديث رقم ( ١٣٩٥ )

١٣٩٥ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، أُتيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بهِ[١] بقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ. فَقَالَ[٢] جبريل: الحَمْدُ للهِ الَّذي هَدَاكَ لِلفِطْرَةِ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُك. رواه مسلم[٣].

**ترجمة الراوي:**

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

**غريب الألفاظ:**

بقدحين: مثنى قدح وهو إناء يشرب فيه الماء ونحوه[٤].

الفطرة: الإسلام والاستقامة[٥].

غوت أمتك: ضلت وانهمكت في الشر[٦].

## الشرح الأدبي

قضى الله تعالى بفضله، ومنته على عباده الصالحين بالرشاد، والهدى، وفطرهم

---

(١) عندهما زيادة: (بإيلياء).

(٢) عند مسلم زيادة: (له).

(٣) (١٦٨/٢٧٢، كتاب الأشربة، باب ١٠). وأخرجه أيضًا البخاري (٤٧٠٩).

(٤) اللسان والوسيط في (ق د ح).

(٥) شرح صحيح مسلم ١٢٧٦.

(٦) المرجع السابق ١٢٧٦.

على ما يحقق تلك الهداية، وأطهر فطرة، وأنقاها فطرة رسول الله التي صفت، وراقت فانساقت وفق مقتضى مرضاة الله تعالى في الأزل، وهذا الحديث يحكى صدى هذه الفطرة، وانعكاسها على اختيار الرسول ﷺ ليلة الإسراء، وبناء الفعل (أسري) للمفعول فيه إشارة إلى أن ما حدث في هذه الليلة ليس بقدرة جسدية أو عقلية للرسول ﷺ، وإنما هي قدرة الله الذي حمله، ولذلك من الجهل اللغوي، والعجز الفكري أن يتعجب متعجب من كيفية قطع الرسول ﷺ لهذه المسافة في ليلة في زمن أسرع وسيلة نقل فيه هي الإبل، والخيل، وقوله (بقدحين) يشير إلى التخيير؛ لأن من يريد أي يسقي ضيفه شرابا معيناً لا يقدّم له كوبين، وهو مثنى فسره بما بعده، وهو من أسلوب التوشيع الذي يشوق للمعنى، ويؤكده، وقوله (فنظر إليهما) نظرة فكر، وتأمل قبل الفعل، وهو ما يجب أن يكون عليه كل مسلم بعده في النظر، والتفكير فيما ينوي أن يقدم عليه من الأفعال فإن كان خيرا أتاه، وإن كان شرا تركه، وابتعد عنه، وقوله (فأخذ اللبن) الربط بالفاء تشير إلى سرعة اتخاذ القرار وهي المناسبة للموقف، ولأن معرفة الصواب في الاختيار بين القدحين لا يستغرق وقتا طويلا، وهو ما يشير إلى أن المؤمن لا يتردد في الخير، والصواب ما دام قد تأكد منه، والرسول ﷺ لم يشرب الخمر قبل البعثة، وبعدها مما يشير إلى سلامة الفطرة التي مهّدت لهذا الاختيار، وفي هذا الاختيار إشارة، ورمز إلى موافقة شرائع الأمة المحمدية لما يصلح عليه حال النفوس البشرية في كل زمان، ومكان، وقول جبريل عليه السلام: (الحَمْدُ للّهِ الّذي هَدَاكَ لِلفِطْرَةِ لَوْ أخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ) يشير إلى محبة جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، وأمته وقوله (هداك للفطرة) يقرر أن مرد الفضل، والنعمة لله تعالى، وهو الموفق، وهي عقيدة يرسّخها في معتقد الأمة إلى يوم القيامة، حتى يتحرك المؤمن بالأسباب، وهو على يقين من أن الفضل ابتداً وانتهاءً من عند الله - عز، وجل -، وقوله (لو أخذت الخمر غوت أمتك) أسلوب شرط يعلق الغواية على اختيار الخمر؛ لأن الخمر متعة تكتنفها مهلكة؛ لأنها تذهب العقل، والإنسان بدون العقل بهيم فاقد الأهلية، واختيار الرسول ﷺ للبن اختيار لما فيه المتعة الحسية في الطعم اللذيذ، والمنظر الحسن، والتقوية المعنوية، مع خلوه من التبعة المهلكة التي في الخمر، وهو الموافق للفطرة،

وما وقع في الحديث رمز لموافقة الشرائع المحمدية لطبيعة البشر في كل زمان، ومكان -والله أعلم-.

## فقه الحديث

١- بوّب النووي على هذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم "باب جواز شرب اللبن"(١).

٢- قال النووي: (قوله: "الحمد لله" فيه استحباب حمد الله عند تجدد النعم وحصول ما كان الإنسان يتوقع حصوله وأنه ناع ما كان يخاف وقوعه)(٢).

## المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: الإسراء بالنبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الإسلام دين الفطرة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التفاؤل بالبشائر الحسنة والأمور السارة.

**أولاً- من تاريخ الدعوة: الإسراء بالنبي ﷺ:**

كان الإسراء بالنبي ﷺ معلمًا بارزًا في تاريخ الدعوة الإسلامية، حيث كان تكريمًا للنبي ﷺ ومواساة له وتثبيتًا وتأييدًا في مواجهة قوى الشرك وقد وردت الإشارة إلى الإسراء في الحديث "أن النبي ﷺ أتى ليلة أسرى به بقدحين..."، وقد أكرمه الله تعالى به قبل الهجرة، والإسراء مذكور في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٣)،(٤)، وذلك أن الله يتيح لرسله فرص الاطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته حتى يملأ قلوبهم ثقة فيه واستنادًا إليه،

---

(١) وساق تحته الأحاديث ٢٠٠٩، ٩٠، ٩١، ٩٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، مج٧/ج١٣/١٥٤، ط دار الكتب العلمية.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١.

(٤) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضري، ص ٤٤، ٤٥.

إذ يواجهون قوى الكفر المتألبة ويهاجمون سلطانهم القائم، وإن جهاد الدعوة الذي حمله النبي ﷺ على كواهله، عرضه لعواصف عاتية، فمن تطمين الله له ومن نعمائه عليه أن يهيئ له هذه الرحلة لتمس فؤاده المعنى ببرد الراحة، وليشعر أنه بعين الله، مذ قام يوحده ويعبده، ويعلم البشر توحيده وعبادته[1]. وكان في مسراه ﷺ أمر من الله في قدرته وسلطانه فيه عبرة لأولي الألباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق وكان من أمر الله على يقين فأسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد[2].

لقد أكرم الله رسوله ﷺ برحلة الإسراء والمعراج في وقت ضاقت عليه الأرض وتكاثرت عليه الهموم، بعد أن فقد ناصريه زوجه خديجة وعمه أبو طالب، ووجد إعراضًا ومجاهرة بالعداوة خاصة بعدما خرج إلى الطائف داعيًا إلى الله، إلا أنهم قابلوه بأشد أنواع الأذى حتى أدموا عقبية.

(عاد النبي ﷺ من الطائف مهموم النفس، جريح الفؤاد، لا لما ناله من الأذى فذلك أمر يهون، ولكن خوفًا على الدعوة أن لا تجد مكانًا صالحًا لانتشارها، فقد كان ﷺ يرجو من وراء رحلته المضنية إلى الطائف خيرًا للدعوة، ومؤازرة لها، ولكنه وجد أهلها أسوأ من أهل مكة، وأجهل وأسفه، وكيف حَالَ مشركو مكة بينه وبين دخول بلده لولا أن أجاره المطعم بن عدي سيد من سادات قريش، فتمكن من دخولها، والطواف حول الكعبة.

وفي هذه الغمرة من المآسي والأحزان، وصدود القوم عن الإيمان، ومحاربة الدعوة الإسلامية بكل الوسائل والطرق، وبعد هذه الشدائد المتلاحقة؛ كان من رحمة الله بعبده وحبيبه محمد صلوات الله وسلامه عليه أن يُسرِّي عن نفسه الجريحة، وفؤاده المحزون، فكان الإسراء والمعراج.

فقد شاهد من آيات ربه الكبرى ما شاهد، وعاين من أمارات العناية الإلهية به

(١) فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، ص ١٣٢، ١٣٣.

(٢) البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، ج٤/٢٧١.

وبدعوته ما زاده يقينًا إلى يقين بإنجاح دعوته، وتبليغ رسالة ربه، ونصره على أعدائه، وأطلعه الله سبحانه من ملكوته العظيم على ما أطلعه عليه مما ملأ نفس الرسول ﷺ رِضىً عن الله، وقلبه نورًا وطمأنينة، وصدره ثلجًا وانشراحا)[١].

**ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الإسلام دين الفطرة:**

ورد بيان ذلك في الحديث"أن النبي ﷺ أتى ليلة أسرى به بقدحين من خمر ولبن فنظر إليهما فأخذ اللبن، فقال جبريل عليه السلام: الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر لغوت أمتك" وفسروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة، ومعناه والله أعلم اخترت علامة الإسلام والاستقامة، وجعل اللبن علامة ذلك لكونه سهلاً طيبًا طاهرًا سائغًا للشاربين سليم العاقبة[٢]. وقد تضافرت النصوص على أن الإسلام هو دين الفطرة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣]، فإن الله تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره[٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ قال تعالى: "فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم"[٥].

وقد جاءت تعاليم الإسلام متوافقة مع الفطرة التي فطر الله الخلق عليها، لأنه سبحانه هو الخالق وهو العليم بما يصلح خلقه، وقد جاءت الإشارة إلى الهداية للفطرة في الحديث في قول جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ "الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر لغوت أمتك".

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة، ٤٠٧/١.

(٢) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ١٤٦٥.

(٣) سورة الروم، آية: ٣٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٣١٤/٦.

(٥) أخرجه البخاري ٤٧٧٥، و مسلم ٢٦٥٨.

قال القاضي: (المراد بها الفطرة الأصلية التي فطر الناس عليها فإن منها الإعراض عما فيه غائلة وفساد، كالخمر المخل بالعقل: الداعي إلى الخير، الوازع عن الشر المؤدي إلى صلاح الدارين وخير المنزلين، والميل إلى ما فيه نفع خال عن مضرة دنيوية ومضرة دينية كشرب اللبن فإنه من أصلح الأغذية وأول ما حصل به التربية[1].

وقال ابن الملك في المرقاة: (وفي هذا القول له عند أخذ اللبن لطف ومناسبة، فإن اللبن لما كان في العالم الحسي ذا خلوص وبياض، وأول ما يحصل به تربية المولود: صيغ منه في العالم القدسي مثال الهداية والفطرة التي يتم بها القوة الروحانية، بخلاف الخمر، فإنها لكونه ذات مفسدة: صيغ منها مثال الغواية وما يفسد القوة الروحانية)[2].

(إن في اختيار النبي ﷺ اللبن على الخمر حينما قدمها له جبريل عليه السلام دلالة رمزية على أن الإسلام هو دين الفطرة، أى الدين الذي ينسجم في عقيدته وأحكامه كلها مع ما تقتضيه نوازع الفطرة الإنسانية الأصيلة، فليس في الإسلام شيء مما يتعارض والطبيعة الأصيلة في الإنسان، ولو أن الفطرة كانت جسمًا ذا طول وأبعاد لكان الدين الإسلامي الثوب المفصل على قدره، وهذا من أسرار سعة انتشاره وسرعة تقبل الناس له. إذ الإنسان مهما ترقى في مدارج الحضارة وغمرته السعادة المادية، فإنه يظل نزاعًا إلى استجابة نوازع الفطرة لديه، ميالاً إلى الانعتاق عن ربقة التكلفات والتعقيدات البعيدة عن طبيعته، والإسلام هو النظام الوحيد الذي يستجيب لأعمق نوازع الفطرة البشرية)[3].

**ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية التفاؤل بالبشائر الحسنة والأمور السارة:**

أشير إلى ذلك في الحديث في اختيار النبي ﷺ اللبن دون الخمر، وقول جبريل عليه السلام له "الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر لغوت أمتك"، قال

---

(١) إكمال المعلم ٢٠٦/١.

(٢) موسوعة فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٢٤٦/٢.

(٣) فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ص ١٦٧.

الإمام ابن علان: "فيه إيماء إلى التفاؤل بالفأل الحسن"[١]، وجاء في فضل التفاؤل والتبشير ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: "لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة"[٢]، قال الماوردي: فينبغي لمن تفاءل أن يتأول تأويلاته، ولا يجعل لسوء الظن على نفسه سبيلا[٣]، وإنما كان النبي ﷺ يعجبه الفأل، لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال[٤]، إضافة إلى ما في الفأل الحسن من جلب للسعادة إلى النفس والقلب وتقوية للعزائم ومعونة على الظفر وباعث على الجد[٥].

---

(١) دليل الفالحين ١٤٠٢.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٥٦، ومسلم ٢٢٢٤.

(٣) أدب الدنيا والدين، الإمام الماوردي، ٢٠.

(٤) فتح الباري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، ٢٢٦/١٠.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ١٠٤٩/٣.

## الحديث رقم ( ١٣٩٦ )

١٣٩٦ - وعنه، عن رسول الله ﷺ قَالَ: ((**كُلُّ امْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدأُ فِيهِ بِالحَمْدُ للهِ فَهُوَ اقْطَعُ**)). حديث حسن، رواه أَبُو داود[1] وغيره.

### ترجمة الراوي:

**أبو هريرة**: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

### غريب الألفاظ:

ذي بال: ذي شأن يهتم به[2].

أقطعُ: ناقص البركة[3].

## الشرح الأدبي

الحديث يقرر في قاعدة شرعية فضيلة من فضائل الأعمال من شأنها أن تربط المؤمن بربه في تقلُّبه لمعاشه، ومعاده، ثم إنه أرادها قاعدة كلية ترتبط بها حركة التمام في العمل، وتضم الجميع تحت مظلتها وقد حقق هذا المعنى عن طريق لفظ الشمول (كل) الذي صدَّر الحديث به ثم أضافه إلى لفظ (أمر) النكرة الذي تعرف به، ومعناه يعطي عموم الشأن الذي يعتري كل إنسان، وقوله (ذي بال) البال الخطر أي كل أمر له أهمية، وقيمة، والعبارة تكميل بلاغي يخص الأعمال ذات القيمة عند صاحبها، وأكثر أمور المؤمن ذات بال؛ لأنها مرتبطة بحركته في رضا ربه، فترتبط

---

(١) برقم (٢٨٤٠). قال أبو داود: رواه يُونس، وعقيل، وشعيب، وسعيد بن عبد العزيز، عن الزهريِّ مُرسلًا. ورجّحه الدارقطني في العلل (٢٢٩/١) حيث قال: تفرد به قرَّة، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هُريرة، وأرسله غيره، عن الزهريّ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقرَّة: ليس بالقوي في الحديث. وقال: ورواه صدقة، عن محمد بن سعيد، عن الزهريّ، وصدقة، ومحمد: ضعيفان، والمرسل: هو الصواب. قلتُ: وصحّحه ابن حبان (الإحسان١)، وقال الحافظ ابن حجر كما نقله في الفتوحات الربانية (٢٨٧/٣): حديث حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٢٨).

(٢) اللسان والوسيط في (ب و ل)

(٣) دليل الفالحين ١٤٦٥.

حركته بذلك بذكر الله في صورة الحمد لله تعالى، وهو شكر لنعمة سابقة، ونعمة لاحقة تتضمن الاستعانة بالله؛ لأنه المالك لتحقيق غاية الأمر الذي يسعى فيه الإنسان، وقوله (فهو أقطع) ذكر (هو) الضمير العائد على الأمر توكيد له وتقرير، والتعبير بالقطع يوحي بالتشويه، والنقص، ويبشر بعدم تمامه إما من ناحية عدم تحقيقه لغرضه القريب المقصود للدنيا أو عدم تحقيقه لغرضه الأخروي بالأجر، والثواب الكامل، بل ينتقص من أجره، والمؤمن الذي ينخرط بالعمل بهذه الفضيلة ينتقل من ذكر إلى ذكر الله على الدوام مما يجعله في معية الله، وليس أفضل منها عونا على تمام الأعمال.

# فقه الحديث

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الابتداء بحمد الله تعالى في الأمور المهمة مندوب، اقتداء بكتاب الله تعالى، وعملاً بحديث الباب [1].

قال النووي: (قال العلماء: يستحب البداءة بالحمد لله لكل مصنف ودارس ومدرس وخطيب وخاطب ومزوج ومتزوج وبين يدي سائر الأمور المهمة)[2].

# المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية بدء الأعمال المشروعة بالحمد.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: حث المسلم على الاستعانة بالله، وحمده على نعمه في كل عمل يقوم به.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

**أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية بدء الأعمال المشروعة بالحمد:**

إن من كمال بركة الأعمال أن يكون بدؤها بحمد الله تعالى، كما جاء في مفهوم قوله ﷺ في الحديث "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع" أي

(١) رد المحتار ٧/١، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٦/١، وحاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص ٤، والمجموع ٥/١ ط دار عالم الكتب، وكشاف القناع ١٢/١ (عن الموسوعة الفقهية ١٨/١٢٨-١٢٩).

(٢) المجموع ٥/١ ط دار عالم الكتب.

مقطوع البركة، على وجه المبالغة، أى أقطع من كل مقطوع"[١]، وفي الحديث حث على بدء الأعمال كلها بحمد الله تعالى، ولذا استن العلماء الأقدمون والمحدثون حمد الله في بداية أعمالهم العلمية من تأليف وتدريس وخطابة وغير ذلك، قال الشافعي أحب أن يُقدِّم المرء بين يدي خطبته وكل أمر طلبه حمد الله تعالى والثناء عليه سبحانه وتعالى والصلاة على رسول الله ﷺ[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين: "ومن فوائد الحمد أن الإنسان إذا ابتدأ الشيء بحمد الله، فإن الله تعالى يجعل فيه البركة، إذا ابتدأه بحمد الله جعل الله فيه البركة، يعني إذا أراد أن يؤلف كتابًا أو يتكلم في كلام خطبة أو غير ذلك، إذا حمد الله جعل الله فيه البركة، وكل أمر لا يبدأ فيه بحمد الله فهو منزوع البركة"[٣]. وقد جاءت النصوص الكثيرة الآمرة بحمد الله تعالى في ابتداء الأعمال منها قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[٤]، وابتدأ الله به بعض السور وكثيرًا من القضايا التي عرضها القرآن، فافتتح بسورة الفاتحة بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[٥]، وسورة الأنعام بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[٦]، والكهف بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾[٧]، وغير ذلك.

**ثانيًا- من أهداف الدعوة: حث المسلم على الاستعانة بالله، وحمده على نعمه في كل عمل يقوم به:**

إن من أهداف الدعوة ومقاصدها: حث المسلم على الاستعانة بالله، فإن صلاح

---

(١) عون المعبود، العظيم آبادي، ٢٠٩٢.

(٢) مقدمة فتاوى النووي، المسماه بالمسائل المنثورة، النووي، ص٨.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٤٩٤/٢.

(٤) سورة النمل، آية: ٥٩.

(٥) سورة الفاتحة، آية: ٢.

(٦) سورة الأنعام، آية: ١.

(٧) سورة الكهف، آية: ١.

العبد في عبادة الله واستعانته به[1]، والعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله - عز وجل - فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه الله، ومن ضروب الاستعانة بالله ابتداء كل أمر بحمد الله تعالى[2]. وقد جاء في الحديث بيان فائدة بدء الأعمال وافتتاحها بحمد الله، فقال ﷺ: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع" وإذا تقرر ذلك فإنه ينبغي على المسلم ألا يبدأ عملاً إلا بحمد الله تعالى، ففي ذلك حصول البركة، وتحقيق للمطالب العالية، والمقاصد الجليلة والخير الكامل في الدنيا والآخرة[3].

إن افتتاح الأعمال بالحمد افتتاح لها بأعظم الكلمات، إنها كلمة تملأ الميزان، كما جاء في صريح الحديث الذي روى عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ. وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ (أَوْ تَمْلأُ) مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. وَالصَّلاَةُ نُورٌ. والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ. وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ. وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو. فَبَايِعٌ نَفْسَهُ. فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[4].

قال القاضي عياض: قوله: ("والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماوات والأرض": بيان أجر الحمد إذا أضيف إلى التسبيح وقرن به على إفراده، لأنه ملأ الميزان - أي من الأجر - وإذا قرن بالتسبيح كان أجره بقدر ملء ما بين السماوات والأرض، وذهب بعضهم إلى أن ثناء العبودية على شيئين: المعرفة بالله، والافتقار إلى الله، فصفاء معرفة الله بتنزيهه، وكمال الافتقار إليه: أن ترى نفسك في تصريفه كيف شاء، فغاية التنزيه سبحان الله، وفي الحمد لله الافتقار إلى الله، وأنه رأى أقواله وأفعاله بالله، ولم يرها من نفسه)[5].

---

(١) جامع البيان، الطبري، ٢٩٨/١.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ١٨٢/١

(٣) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، القسمان الثالث والرابع، ص ٣٢٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٥) إكمال المعلم ٧/٢.

وقال ابن رجب الحنبلي: (فأما الحمد لله، فاتفقت الأحاديث كلها على أنه يملأ الميزان، وقد قيل إنه ضرب مثل، وأن المعنى: لو كان الحمد جسمًا لملأ الميزان، وقيل: بل الله عزو حل يمثل أعمال بني آدم وأقوالهم صورًا ترى يوم القيامة وتوزن)[١].

**ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:**

ورد أسلوب الترهيب في الحديث، حيث رهب النبي ﷺ من ترك ابتداء الأعمال بحمد الله بنزع البركة، فقال ﷺ "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع"، وأسلوب الترهيب من الأساليب الدعوية التي أُمر بها الداعية في دعوته، فهو أحد ركنى الموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[٢]، قال ابن كثير: "والموعظة الحسنة"، أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس، ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى"[٣]، والترهيب أحد مراتب الدعوة الرئيسة، قال ابن القيم في تفسير الآية: (جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه: يُدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده غفلة وتأخر: يُدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والمعاند الجاحد يُجادَل بالتي هي أحسن)[٤]، وإن أسلوب الترهيب في الدعوة لمن الأهمية بمكان، فإن ما جاء به الشرع الحنيف كله، بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ، لا يعدوا أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه[٥].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ج٢/١٦.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦١٢/٤

(٤) التفسير القيم، ص٣٤٤.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٢١٢٧/٦.

## الحديث رقم (١٣٩٧)

١٣٩٧- وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيقولون: نَعَمْ، فيقول: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فيقولون: نَعَمْ، فيقول: ماذا قَالَ عَبْدِي؟ فَيقولون: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فيقولُ اللهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا في الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ)). رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

### ترجمة الراوي:

**ابو موسى الأشعري:** تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

### غريب الألفاظ:

استرجع: قال: (إنا لله وإنا إليه راجعون)[٢].

## الشرح الأدبي

الاستفهام الإلهي (قبضتم ولد عبدي؟) قبضتم ثمرة فؤاده ؟ ... تقرير للملائكة بغرض الإخبار لهم والإشادة ببني آدم في موقف أبلى فيه الإنسان الثكول بلاءً حسناً وقد قالت الملائكة من قبل {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }(البقرة٣٠ )' وحذف الأداة في هذا الاستفهام أوحت بفيض غامر من الرحمة على الأب الثكول، ورحمة لا تصدر إلا من رحمن تبعث الأسى، وتصور حجم الفجيعة التي مُنى بها الأب يدلك على ذلك بقية عبارة الاستفهام، وتدرجه من الخصوص (ولد عبدي) إلى الأخص (ثمرة فؤاده) تصعيداً لشعور الأسى، والشفقة لدى المخاطبين، وتعبيره بـ (عبدي) وإضافته لنفسه تشريف للأب الثكول

---

(١) برقم (١٠٢١)، وتقدم برقم (٩٢٣). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢٩٤٨). وقال الحافظ كما في الفتوحات الربانية (٣/٢٩٦): الحديثُ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٨٦).

(٢) الوسيط في (ر ج ع).

يوحي بحنو الله جل، وعلا، وهو يريد بذلك أن يصور حجم المصيبة التي لحقت به، ثم يأتي استفهامه الآخر مذكور الأداة (ماذا قال عبدي) بعد شدة ما أصيب به، واستعمل حرف الاستفهام (ماذا) (ما) التي يطلب بها تعيين غير العقلاء فيطلب بها تعيين الاسم، أو صفته مضافة إليها (ذا) الإشارية لفتاً للنظر إليه، وإظهاراً لمقالته بإثارة السؤال واضحاً على أسماع الملائكة، وكل من بلغه الحديث إشارة إلى فضل بني آدم عامة، وصبر هذا الأب الثكول خاصة[1].

## المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب ،والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري، ٥٠٠، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط - جامعة الأزهر .

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٢٣).

## الحديث رقم ( ١٣٩٨ )

١٣٩٨- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((إنَّ الله لَيرْضَى عَنِ العَبْدِ يَأكُلُ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا)) رواه مسلم[١].

**ترجمة الراوي:**

**انس بن مالك:** تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

# الشرح الأدبي

الحديث يبين مدى فضل الله -عز وجل- على عباده بتقبله لقليل أعمالهم، ومغفرته لكثير ذنوبهم، وهذا الحديث يشير إلى جانب من هذا المعنى، ومن الملاحظ في بداية الخبر كثافة المؤكدات التي تدل على أهمية الخبر، وتعظيمه، وربما أشارت هذه المؤكدات إلى تنزيل المخاطبين منزلة المنكرين بسبب غفلتهم عن فضل هذه الأعمال، واستهانتهم بها، لأنها تبدو سهلة بسيطة، ويترتب عليها أمر جلل، وهو رضى الله -عز وجل-، وفي قوله (يأكل الأكلة )،و(ويشرب الشربة) جناس أكد المعنى المراد، وأحدث توازنا صوتياً في العبارة يلفت السمع، وتكرار الحمد للتنبيه على فضله، وصرف العناية إليه، واستخدام حرف العطف (أو) للتنويع، أي: أي نوع يفعله فيحمد الله، يرضي الله تعالى، وربط فعل الحمد بالفاء يؤذن بالتعقيب دون مهلة يستغلها الشيطان لينسيه إياها.

**المضامين الدعوية**[٢]

(١) برقم (٨٩/٢٧٣٤)، وتقدم برقم (١٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٩٥).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٤٠).

# المضامين التربوية في أحاديث الباب

**أولاً- إيقاظ الفطرة وتربيتها:**

إن الفطرة الدينية من الأهداف التربوية التي يجدر بأهل التعليم والتربية إيقاظها والحفاظ عليها، وتعاهدها بالتربية، وهذا ما يستفاد في حديث الباب من قول جبريل عليه السلام لمحمد ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ».

"والفطرة هي الطبيعة والخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه، فقد أودع الله سبحانه وتعالى كل واحد من البشر عند خلقه وولادته فطرة سليمة، يمكن أن توجهه إلى طريق الهداية، وتصل به إلى سبيل الرشاد، وذلك إن لم تشبها الشوائب، ودليل ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ. كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ. هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟»[(١)(٢)].

قال سهل بن عبدالله التستري: "كنت وأنا ابن ثلاث سنين، أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرّك به لسانك، الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك، ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودُم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل من كان الله معه وناظرًا إليه وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية، فكنت أخلو بنفسي فبعثوا بي إلى المكتب فقلت: إني لأخشى أن يتفرّق عليَّ همي ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٥٨، ومسلم ٢٦٥٨.

(٢) الموسوعة الفقهية، ٣/١٨٢-١٨٤.

أرجع، فمضيت إلى الكتَّاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر، وقُوتِي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة، فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يبعثوني إلى أهل البصرة لأسأل عنها، فأتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشفِ أحد عني شيئًا. فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن أبي عبد الله العباداني فسألته عنها فأجابني، فأقمت عنده مدّة أنتفع بكلامه، وأتأدب بآدابه"[1].

"فانظر كيف تأدب هذا الصبي بآداب الإسلام، وطَلَبَ العلم وانتقلَ إليه، وحَرَصَ على طاعة الله منذ طفولته، إنها إيقاظ الفطرة الدينية وتربيتها.

حيث إن الأخلاق الدينية لن تترسخ في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة، وما لم تترك جميع الأفعال السيئة، وذلك بإيقاظ الفطرة الدينية الصحيحة، والتربية والاعتياد في تهذيب الأخلاق" [2].

إن إيقاظ الفطرة الدينية وتربيتها، يزيد الارتباط بخالق السماوات والأرض، فضلاً عن تهيئة الأنفس في هذه الحياة المضطربة، وتأمين وجودها ومصيرها في هذه الحياة، وبها تستمد الأنفس التفاؤل والصبر والصدق والإخلاص والصلة المستمرة بخالق الكون والبذل والعطاء، ... لتستكمل رحلة الحياة في سعادة وابتسام وأمل[3].

**ثانيًا: التربية على شكر الله وحمده:**

إن من أهم الأصول التربوية التي أشارت إليها أحاديث الباب، والتي يجب غرسها في نفوس المتعلمين، شكر الله على نعمه وآلائه، والذي يعكس بدوره إرهاف الشعور والحس لدى المتعلم، مما يؤدي بدوره إلى إكمال سجيته مع خالقه.

وحتى يتسنى غرس خلق الشكر لله وحمده في نفوس المتعلمين، يجب استظهار نعم الله وآلائه وعظم فضله على عباده، مما يستدعي في نفوس المتعلمين الرغبة والشوق إلى

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٥٣/١.

(٢) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ٢٣١.

(٣) انظر: التربية بالعبرة، عبدالرحمن النحلاوي، ط١، دار الفكر، دمشق، سورية، ص١٧٧-١٧٩.

شكر المنعم، وكيف لا!!!، وقد جبلت الأنفس على شكر وحمد مُنعمُها.

وهذا ما استظهره السلف الصالح لغرس الشكر لله في قلوب المتعلمين.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْرَبُ الْمَاءَ الْقُرَاحَ، فَيَدْخُلُ بِغَيْرِ أَذًى، وَيَخْرُجُ بِغَيْرِ أَذًى إِلاَّ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ».

وقال يونس بن عبيد لرجل يشكو ضيق حاله: "أيسرك ببصرك هذا مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا قال: فبيديك مائة ألف؟ قال: لا قال: فبرجليك مائة ألف؟ قال: لا قال: فذكّره نعم الله عليه فقال يونس: أرى عندك مِئين الألوف وأنت تشكو الحاجة"[1].

وقد أراد المنهج التربوي الإسلامي، بناء الشخصية الإسلامية وتربيتها تربية فريدة في خلقها وسلوكها وشكرها لبارئها، فلم يكتف هذا المنهج الرباني الفريد بغرس خلق حمد الله وشكره على آلائه ونعمه، بل جعل حمد الله وشكره على ابتلائه واختباره، جزءً من عقيدة المؤمن في رضائه بالقضاء والقدر حلوه ومره، بل عظّم جانب الأجر في ذلك.

وهذا ما ترائى من أحاديث الباب في قوله ﷺ عن رب العزة لملائكته - إذا مات ولد العبد - قبضتم ولد عبدي فيقولون: نعم، فيقول جلا وعلا قبضتهم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد.



(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم، ١٢٥، نقلًا عن الموسوعة الأم في تربية الأولاد، د. أحمد مصطفى متولي، ١/٦٦١، ٦٦٢.